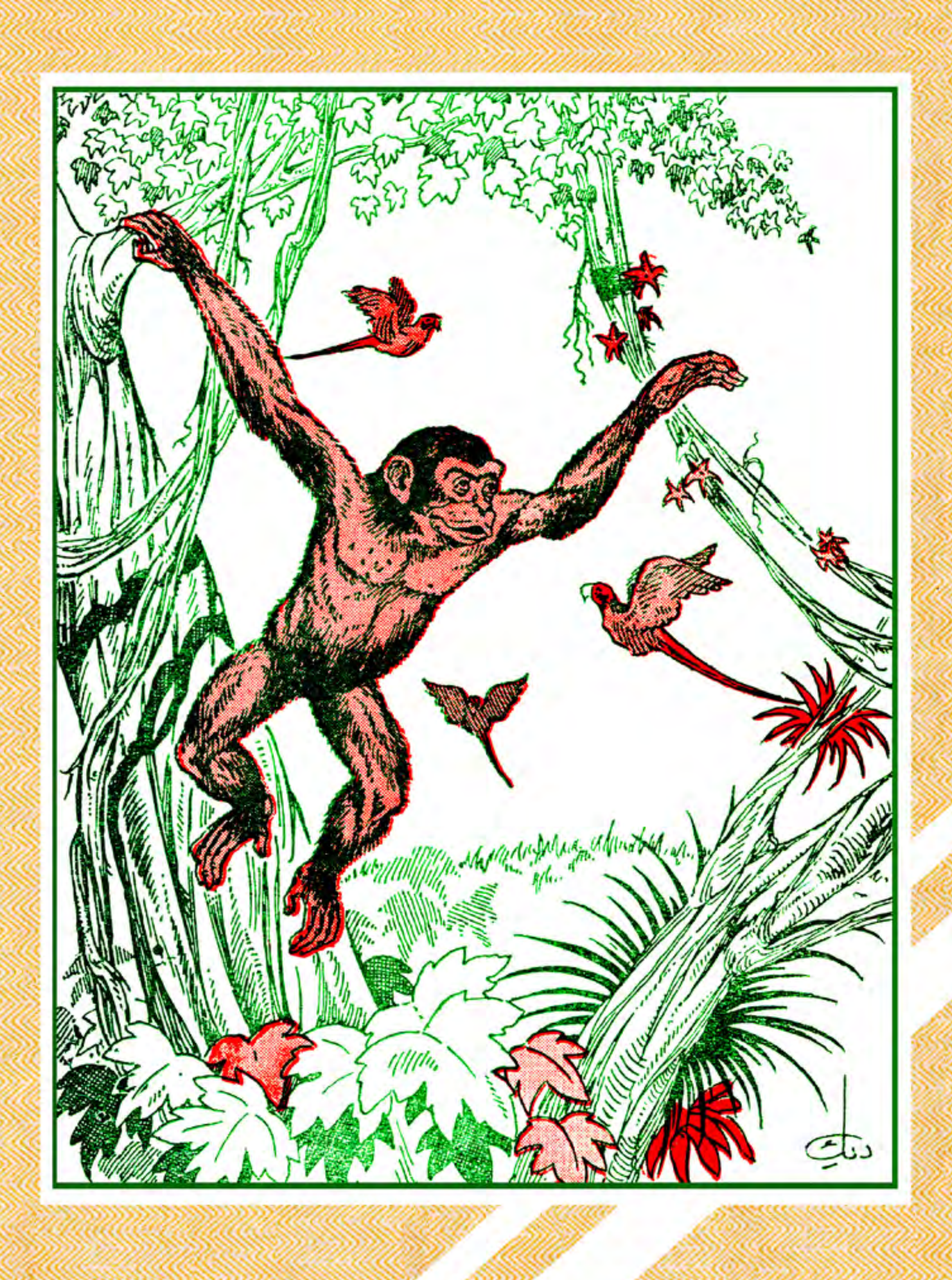
كامل كيلاني

جَدُّ القُرُود



كامل كيلاني

أساطير إفريقية

جد القرود

دار مكتبة الأطفال - القاهرة
أول مؤسسة عربية لتثقيف الطفل
٣٢ شارع حسن الأكبر - ت ٥٠٨١٨
٢٨ شارع البستان - ت ٣٣١٥٨

مطبعة الاستقامة بالقاهرة
شارع ثريا باشا رقم ١٢

١ – مَهارَةُ الرُّبَّاحِ

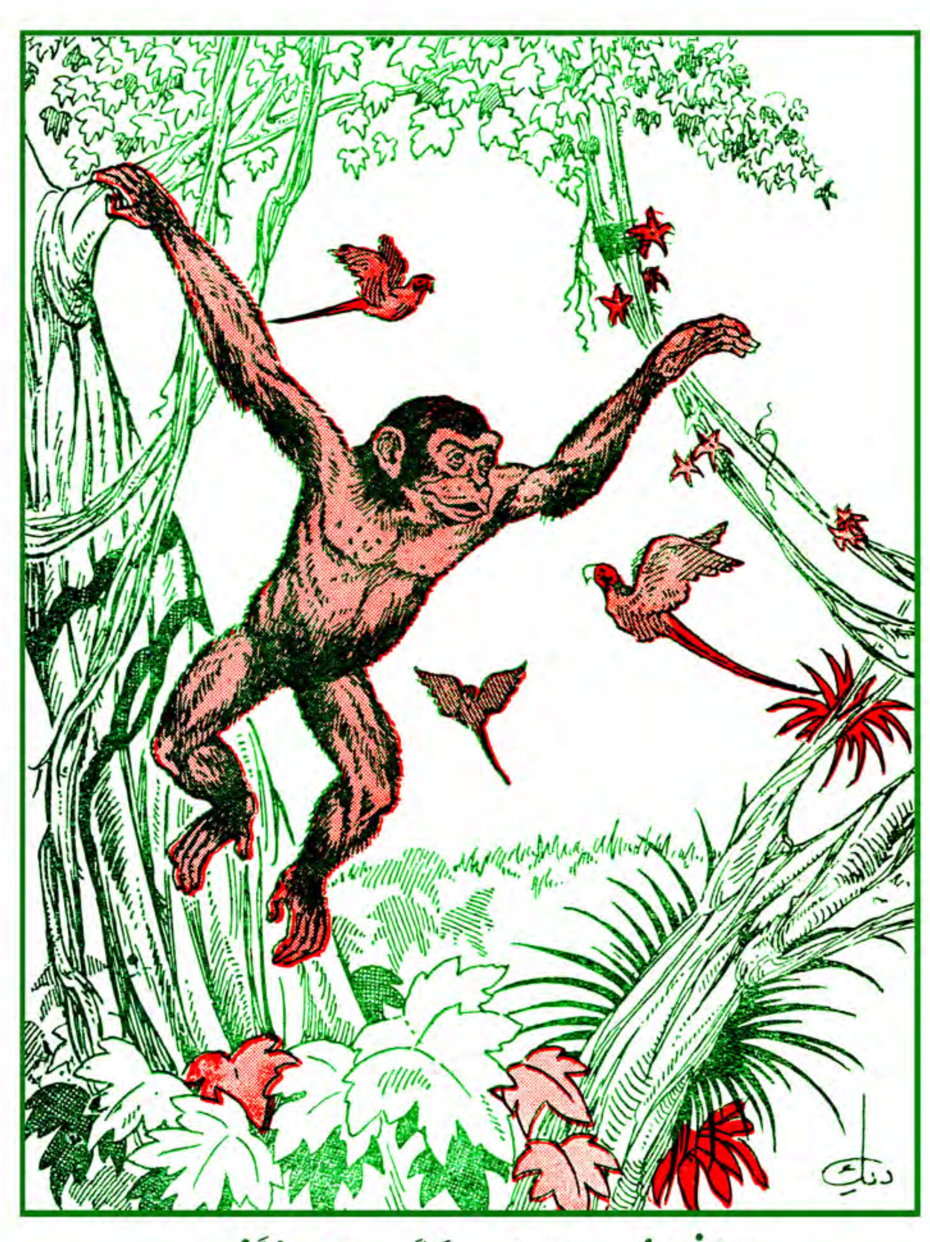
كانَ السُّلْطانُ « الرُّبَّاحُ » قِرْدًا كَبِيرًا ، مَوْفُورَ الذَّكاءِ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَوْفُورَ الْعقلِ والْحِكْمَةِ .

وَكانَ يَسُوسُ مَمْلَكَتَهُ الصَّغِيرَةَ فِي الْغابَةِ زَمَنًا طَوِيلًا ، وَلٰكِنَّهُ – عَلَى ذَكائِهِ – لَمْ يَكُنْ يُقَدِّرُ الْعَواقِبَ تَقْدِيرَ الْحَكِيمِ الْمُجَرِّبِ .

وَلَعَلَّكُمْ تَسْأَلُونَنِي : كَيْفَ كانَ هٰذا السُّلْطانُ ذَكِيًّا ، وَلَمْ يَكُنْ عاقِلًا ؟

وَلَكُمُ الْحَقُّ فِي هٰذا السُّؤَالِ ؛ فَإِنَّ ذَكاءَ هٰذا الْقِرْدِ الْكَبِيرِ كانَ يَتَجَلَّى فِي قُدْرَتِهِ عَلَى تَسَلُّقِ الْأَغْصانِ بِذِراعَيْهِ الطَّوِيلَتَيْنِ ، كَما يَتَجَلَّى فِي الِانْتِقالِ – مِنْ شَجَرَةٍ إِلَى أُخْرَى – فِي مِثْلِ سُرْعَةِ الْبَرْقِ ، وَفِي مَهارَتِهِ فِي الْعَدْوِ بِسُرْعَةٍ لا مَثِيلَ لَها .

وَكانَ « الرُّبَّاحُ » إِذا جَرَى لَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدٌ أَنْ يَلْحَقَ بِهِ ، وَلَمْ يَكُنْ يَعْجِزُ عَنْ قَطْعِ الْمَسافاتِ الْبَعِيدَةِ فِي أَقْرَبِ وَقْتٍ .



السُّلْطانُ « الرُّبّاحُ » يَتَنَقَّلُ بَيْنَ الأَغْصانِ

وَلٰـكِنَّهُ - عَلَى مَهارَتِهِ - لَمْ يَكُنْ يَتَدَبَّرُ الْعَواقِبَ - كَما أَسْلَفْتُ لَـكُمْ - وَقَدْ جَرَّ عَلَيْهِ ذٰلِكَ نَـكَباتٍ عَظِيمَةً .

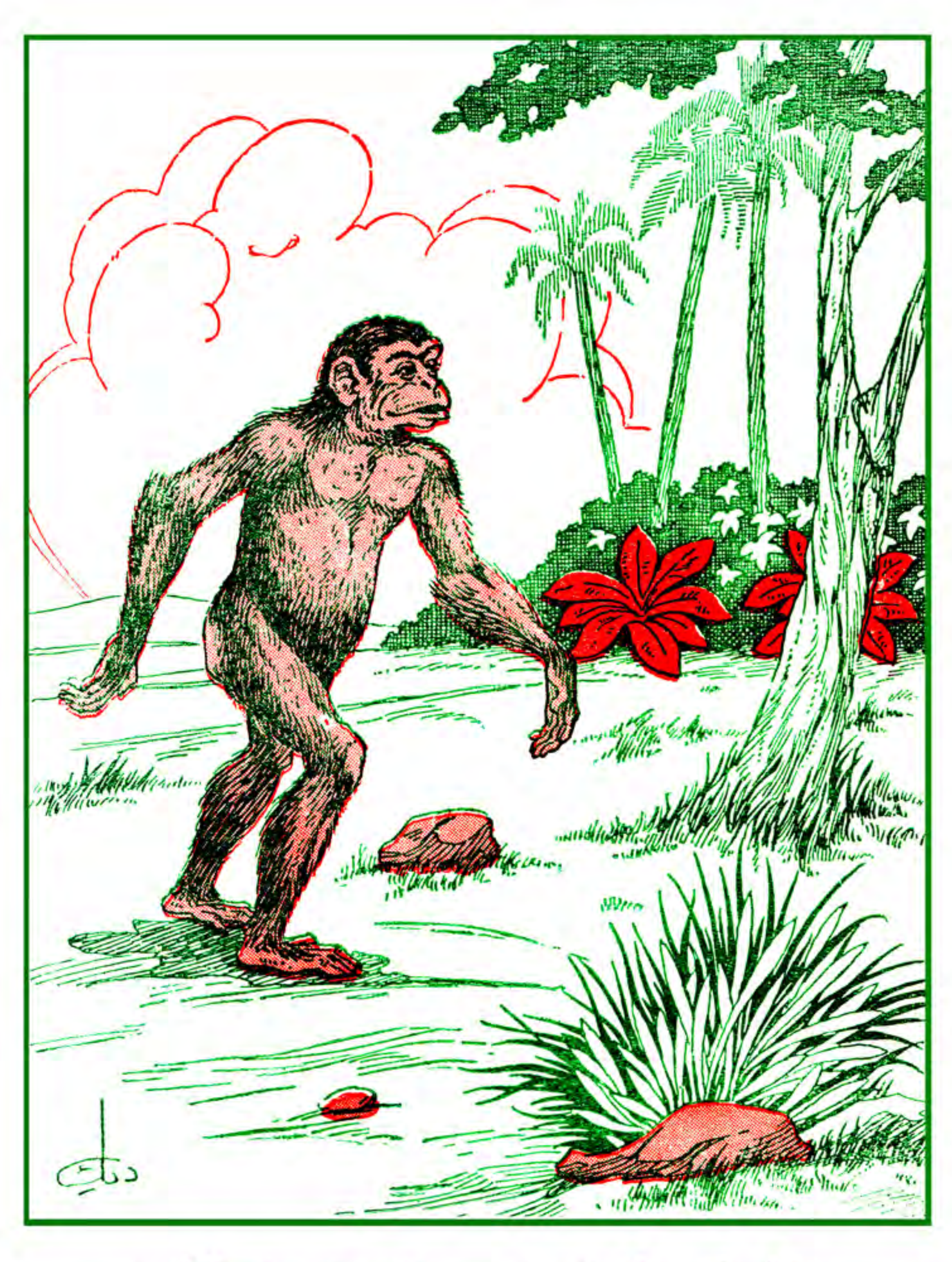
٢ - جَدُّ الْقُرُودِ

وَكانَ السُّلْطانُ « الرُّبَّاحُ » أَوَّلَ قِرْدٍ عاشَ فِي هٰذِهِ الدُّنْيا ، فَهُوَ - فِيما تُحَدِّثُنا هٰذِهِ الْأُسْطُورَةُ - الْجَدُّ الْأَوَّلُ لِلْقِرَدَةِ الَّتِي تَرَوْنَها فِي هٰذِهِ الدُّنْيا .

وَكانَ يَمْشِي عَلَى قَدَمَيْهِ ؛ كَما يَمْشِي الْإِنْسانُ سَواءً بِسَواءٍ .

وَلَمْ يَكُنْ يَشْرَكُهُ - فِي هٰذِهِ الْمِيزَةِ - أَحَدٌ مِنَ الْحَيَوانِ ؛ لِأَنَّ أَحَدًا مِنَ الْحَيَوانِ لَمْ يَكُنْ يَمْشِي عَلَى قَدَمَيْنِ اثْنَتَيْنِ ، فَقَدْ كانَتِ الدَّوابُّ كُلُّها تَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ .

فَلا تَعْجَبُوا إِذا احْتَرَمَتْهُ دَوابُّ الْغابَةِ كُلُّها وَعَظَّمَتْهُ ؛ لِأَنَّهُ يَمْشِي عَلَى قَدَمَيْهِ كَما يَمْشِي النَّاسُ ؛ وَلٰـكِنَّهُ أَضاعَ - بِحَماقَتِهِ - هٰذِهِ الْمِيزَةَ وَلَمْ يُوَرِّثْها أَحَدًا مِنْ أَبْنائِهِ الْقِرَدَةِ مِنْ بَعْدِهِ ، وَأَصْبَحَ السُّلْطانُ « الرُّبَّاحُ » - فِي أَواخِرِ أَيَّامِهِ - يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ كَما تَمْشِي الدَّوابُّ الْأُخْرَى ، وَصارَتِ الْقِرَدَةُ



السُلْطانُ «الرُبَّاحُ» يَمْشِي عَلَى قَدَمَيْهِ كالإِنْسانِ

تَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ كَما تَمْشِي غَيْرُها مِنَ الدَّوابِّ .. وَما زالَتْ كَذٰلِكَ إِلَى يَوْمِنا هٰذا .

وَهٰكَذا حُرِمَتِ الْقِرَدَةُ مِيزَةَ الْمَشْيِ عَلَى قَدَمَيْنِ .

٣ – رَعِيَّةُ السُّلْطانِ

أَمَّا رَعِيَّةُ السُّلْطانِ « الرُّبَّاحِ » فَكانَتْ مُؤَلَّفَةً مِنْ جَمْهَرَةٍ كَبِيرَةٍ مِنَ الدَّوابِّ والْحَشَراتِ وَغَيْرِها . .وَكانَ أَكْبَرَ رَعِيَّتِهِ الْفِيلُ ، وَأَصْغَرَ رَعِيَّتِهِ النَّمْلَةُ .

وَكانَ بَيْنَ أَفْرادِ شَعْبِهِ : كَلْبٌ ، وَقِطَّةٌ ، وَفَأْرَةٌ .

وَكانَتْ عِنْدَهُ : بِرْكَةُ ماءٍ ، وَعَصًا مِنَ الْعِصِيِّ الْجَمِيلَةِ ، وَنارٌ مُتَّقِدَةٌ لَيْلَ نَهارَ .

وَكانَ أَمْرُ السُّلْطانِ « الرُّبَّاحِ » مُطاعًا ، وَحُكْمُهُ ـ عَلَى هٰؤُلاءِ جَمِيعًا ـ نافِذًا لا مَرَدَّ لَهُ .

وَقَدْ عَرَفْتُمْ ـ يا أَبْنائِيَ الْبَرَرَةَ ـ أَنَّ الْماءَ يُطْفِئُ النَّارَ وَيُخْمِدُها ـ لِلْحالِ ـ إِذا صَبَبْناهُ عَلَيْها ؛ وَلٰكِنَّ الْأُسْطُورَةَ الْإِفْرِيقِيَّةَ تُحَدِّثُنا أَنَّ الْماءَ ـ فِي زَمَنِ هٰذا السُّلْطانِ ـ

كانَ لا يُطْفِئُ النَّارَ ؛ لِأَنَّ النَّارَ - فِي ذٰلِكَ الزَّمَنِ - كانَتْ مُوقَدَةً لا تَخْبُو .

وَيَرْجِعُ السِّرُّ فِي ذٰلِكَ إِلَى أَنَّ الْماءَ والنَّارَ كانا - مُنْذُ قَديمِ الزَّمانِ - صَديقَيْنِ مُتَحابَّيْنِ ، وَما زالا عَلَى صَداقَتِهِما وَأُلْفَتِهِما إِلَى عَهْدِ ذٰلِكَ السُّلْطانِ .

وَلَمْ تَكُنِ الصَّداقَةُ قاصِرَةً عَلَى الْماءِ والنَّارِ وَحْدَهُما ، بَلْ كانَتْ عامَّةً بَيْنَ أَفْرادِ الشَّعْبِ جَميعًا .

فَكانَ الْقِطُّ صَديقًا لِلْفَأْرَةِ ، وَلَمْ يَكُنْ يَخْطُرُ لَهُ أَنْ يَعَضَّها أَوْ يَفْتِكَ بِها . . وَكانَ الصَّفاءُ والْحُبُّ يَسُودانِ أَرْجاءَ الْغابَةِ كُلَّها .

وَلَمْ تَكُنِ الْعَصا تَهُمُّ بِضَرْبِ الْكَلْبِ ، بَلْ كانَتْ تَسيرُ فِي طَريقِها وادِعَةً هادِئَةً . . وَلَمْ تَكُنِ النَّمْلَةُ تَقْرُصُ الْفيلَ ، لِأَنَّهُما كانا صَديقَيْنِ مُتَحابَّيْنِ .

* * *

وَهٰكَذا سادَ الصَّفاءُ والْحُبُّ أَرْجاءَ الْغابَةِ فِي حُكْمِ هٰذا السُّلْطانِ ؛ حَتَّى حَدَثَ ما لَمْ يَكُنْ فِي الْحِسْبانِ .

٤ – بَدْءُ الشَّرِّ

جاءَ الْخَيَّاطُ - ذاتَ يَوْمٍ - يَشْكُو الْفَأْرَةَ إِلَى السُّلْطانِ « الرُّبَّاحِ » ؛ لِأَنَّها قَدْ خَرَقَتْ ثَوْبَهُ .

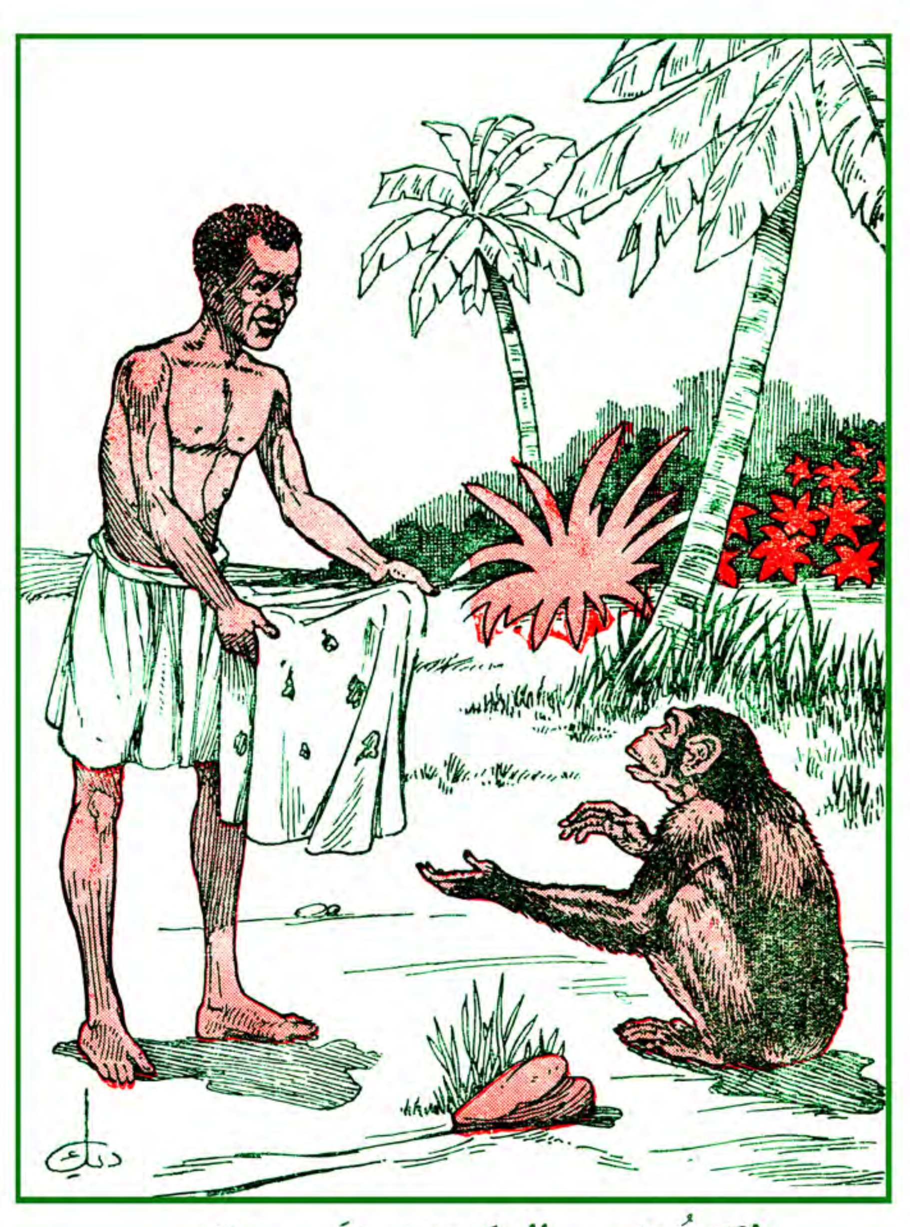
وَكانَتْ هٰذِهِ الشَّكْوَى سَبَبًا فِي شَقاءِ السُّلْطانِ وشَقاءِ شَعْبِهِ جَمِيعًا ، كَما تُحَدِّثُنا الْأُسْطُورَةُ .

وَقَدْ أَراهُ الْخَيَّاطُ سِتَّةَ خُرُوقٍ أَحْدَثَتْها الْفَأْرَةُ فِي ثَوْبِهِ .. وَقالَ لِلسُّلْطانِ :

« لَسْتُ واثِقًا مِنِ اعْتِداءِ الْفَأْرَةِ عَلَى ثَوْبِي ؛ فَقَدْ سَأَلْتُها عَنْ سَبَبِ هٰذِهِ الْخُرُوقِ السِّتَّةِ ، فاتَّهَمَتِ الْقِطَّ .

فَلَمَّا سَأَلْتُ الْقِطَّ عَنْها ، قالَ لِي : إِنَّهُ رَأَى ثَوْبِي بَيْنَ أَسْنانِ الْكَلْبِ .

فَلَمَّا سَأَلْتُ الْكَلْبَ ، اتَّهَمَ الْعَصا ، وَزَعَمَ أَنَّها خَرَقَتِ الثَّوْبَ .



الْخَيَّاطُ يَعْرِضُ فُتُوقَ الرِّدَاءِ عَلَى «الرُّبَّاحِ»

فَلَمَّا سَأَلْتُ الْعَصا ، أَخْبَرَتْنِي أَنَّ النَّارَ هِيَ الَّتِي فَعَلَتْ ذٰلِكَ .

فَذَهَبْتُ إِلَى النَّارِ ، أَسْأَلُها عَمَّا فَعَلَتْهُ بِثَوْبِي ؛ فَزَعَمَتِ النَّارُ أَنَّ الْماءَ هُوَ الَّذِي خَرَّقَ ثَوْبِي .

فَلَمَّا سَأَلْتُ الْماءَ عَنْ ذٰلِكَ أَنْكَرَ التُّهَمَةَ ، وَزَعَمَ أَنَّ الْفِيلَ هُوَ الَّذِي أَتْلَفَ ثَوْبِي .

وَلَمَّا سَأَلْتُ الْفِيلَ اتَّهَمَ النَّمْلَةَ .

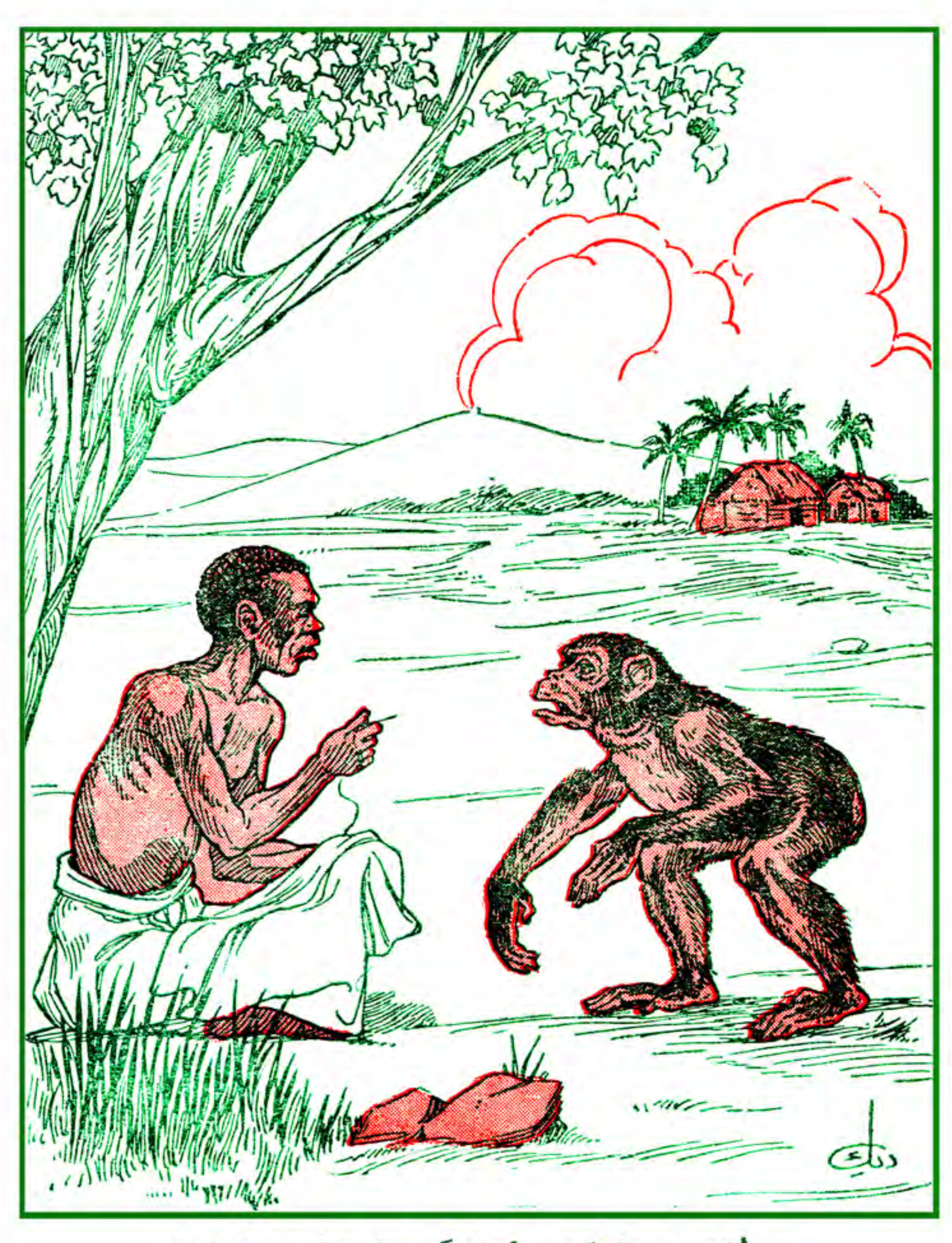
فَلَمْ أَدْرِ مَنِ الْجانِي الَّذِي أَساءَ إِلَيَّ ؟

وَلا شَكَّ أَنَّكَ قادِرٌ عَلَى الِانْتِقامِ لِي مِنَ الْمُسِيءِ . »

٥ - غَضَبُ الرُّبَّاحِ

وَما إِنْ عَرَفَ السُّلْطانُ الرُّبَّاحُ مِنَ الْخَيَّاطِ تَفْصِيلَ هٰذا الْحادِثِ الْغَرِيبِ ، حَتَّى امْتَلَأَتْ نَفْسُهُ غَضَبًا وَحَنَقًا ، فَالْتَفَتَ إِلَى الْخَيَّاطِ قائِلًا :

« لَقَدْ تَبَيَّنْتُ - مِنْ قِصَّتِكَ - أَنَّ أَفْرادَ شَعْبِي يَخْتَصِمُونَ جَمِيعًا مِنْ جَرَّاءِ هٰذا الثَّوْبِ الْمُخَرَّقِ ، وَأَنَّهُمْ يَتَّهِمُ بَعْضُهُمْ



« الرُّبَّاحُ » يَنْهَى الْخَيَّاطَ عَنْ إِصْلاحِ الرِّداء

بَعْضًا فِى ذٰلِكَ ؛ فَلا تَتَوانَ فِى إِحْضارِهِمْ إِلَىَّ ، حَتَّى أَتَعَرَّفَ مِنْهُمْ جَلِيَّةَ الْأَمْرِ ! »

ثُمَّ أَطْرَقَ السُّلْطانُ « الرُّبَّاحُ » مُفَكِّرًا فِى هٰذا الْحادِثِ، وَقالَ مَدْهُوشًا : « يا لَلْعَجَبِ الْعُجابِ !

أَمِنْ أَجْلِ هٰذا الْأَمْرِ الصَّغِيرِ يَشْتَجِرُ الشَّعْبُ كُلُّهُ ؟

وَكَيْفَ وَقَعَ هٰذا الْجُرْمُ ؟

فَعَلَى مَنْ تَقَعُ التَّبِعَةُ ياتُرَى ؟

لا بُدَّ مِنِ اسْتِشارَةِ وَزِيرِى فِى هٰذا الْأَمْرِ الْخَطِيرِ ! »

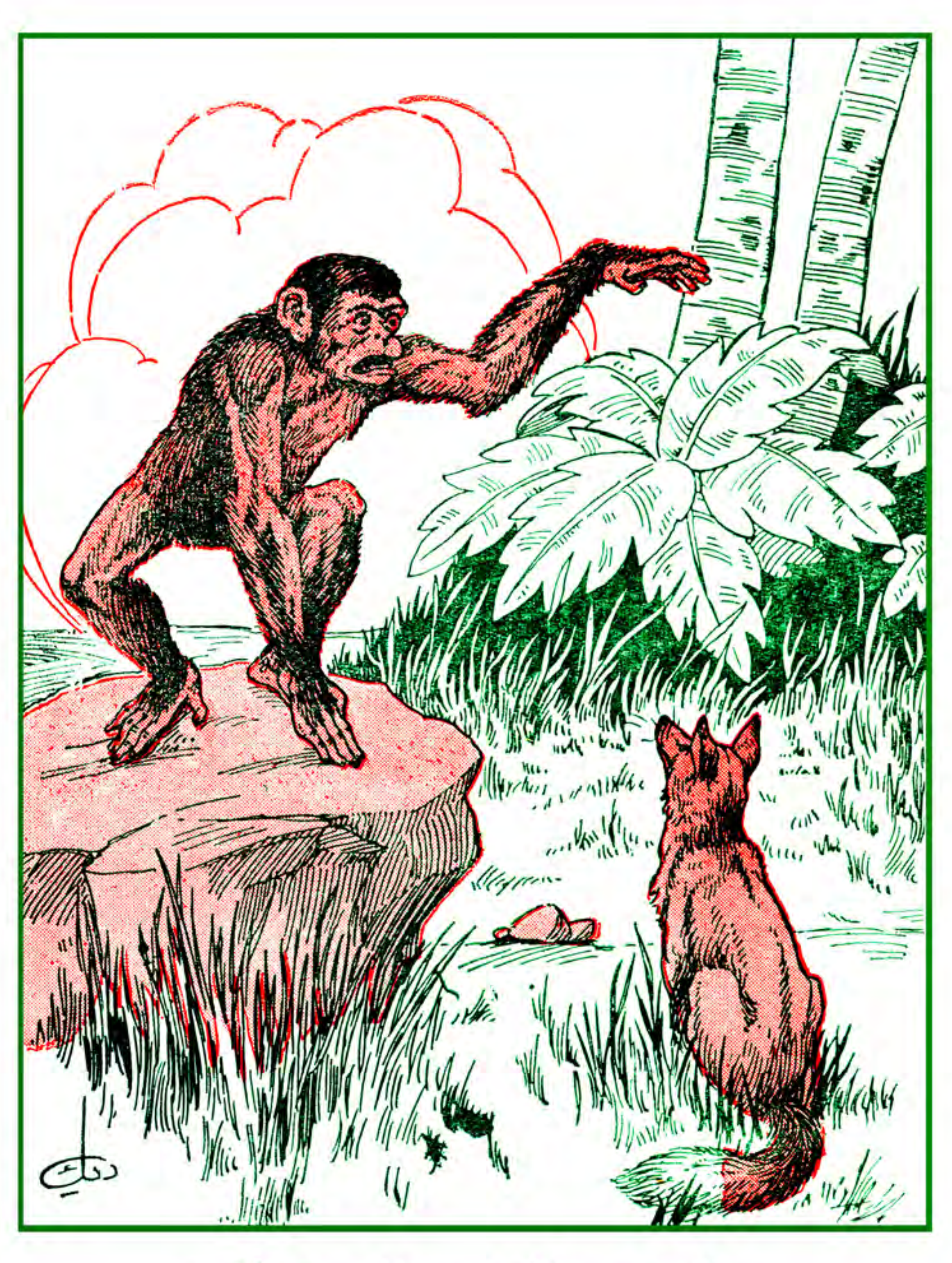
ثُمَّ أَذِنَ السُّلْطانُ « الرُّبَّاحُ » لِلْخَيَّاطِ فِى الْجُلُوسِ ؛ فَجَلَسَ الْخَيَّاطُ ، وَأَخْرَجَ إِبْرَتَهُ مِنْ جَيْبِهِ لِيَخِيطَ الثَّوْبَ .

فَقالَ لَهُ السُّلْطانُ « الرُّبَّاحُ » :

« حَذارِ أَنْ تَرْتُقَ الْفُتُوقَ الْآنَ ؛ فَإِنَّ خُصُومَكَ سَيُنْكِرُونَ عَلَيْكَ شَكْواكَ إذا أَصْلَحْتَ الثَّوْبَ . . وَسَيَزْعُمُونَ أَنَّ ثَوْبَكَ سَلِيمٌ لَمْ يُخَرِّقْهُ أَحَدٌ . »

فَقالَ لَهُ الْخَيَّاطُ :

« السَّمْعُ لَكَ والطَّاعَةُ ؛ وَلٰكِنِّى أَسْأَلُكَ راجِيًا أَنْ تَكُفَّ



« الرُّبَّاحُ » يَسْتَشِيرُ وَزِيرَهُ « ابْنَ آوَى »

عَنِ اسْتِشارَةِ وَزِيرِكَ : « ابْنِ آوَى » ؛ فَإِنَّ مَشُورَتَهُ لا تَنْتُجُ إِلَّا شَرًّا .

وَقَدِ اشْتَهَرَ هٰذا الشَّغْبَرُ بَيْنَنا - مُنْذُ عَرَفْناهُ وَعَرَفَنا - بِالْوَقِيعَةِ والدَّسِّ ، والْخَدِيعَةِ والْغَدْرِ . »

* * *

وَكانَ الْخَيَّاطُ صادِقاً فِي حُكْمِهِ عَلَى « ابْنِ آوَى » !

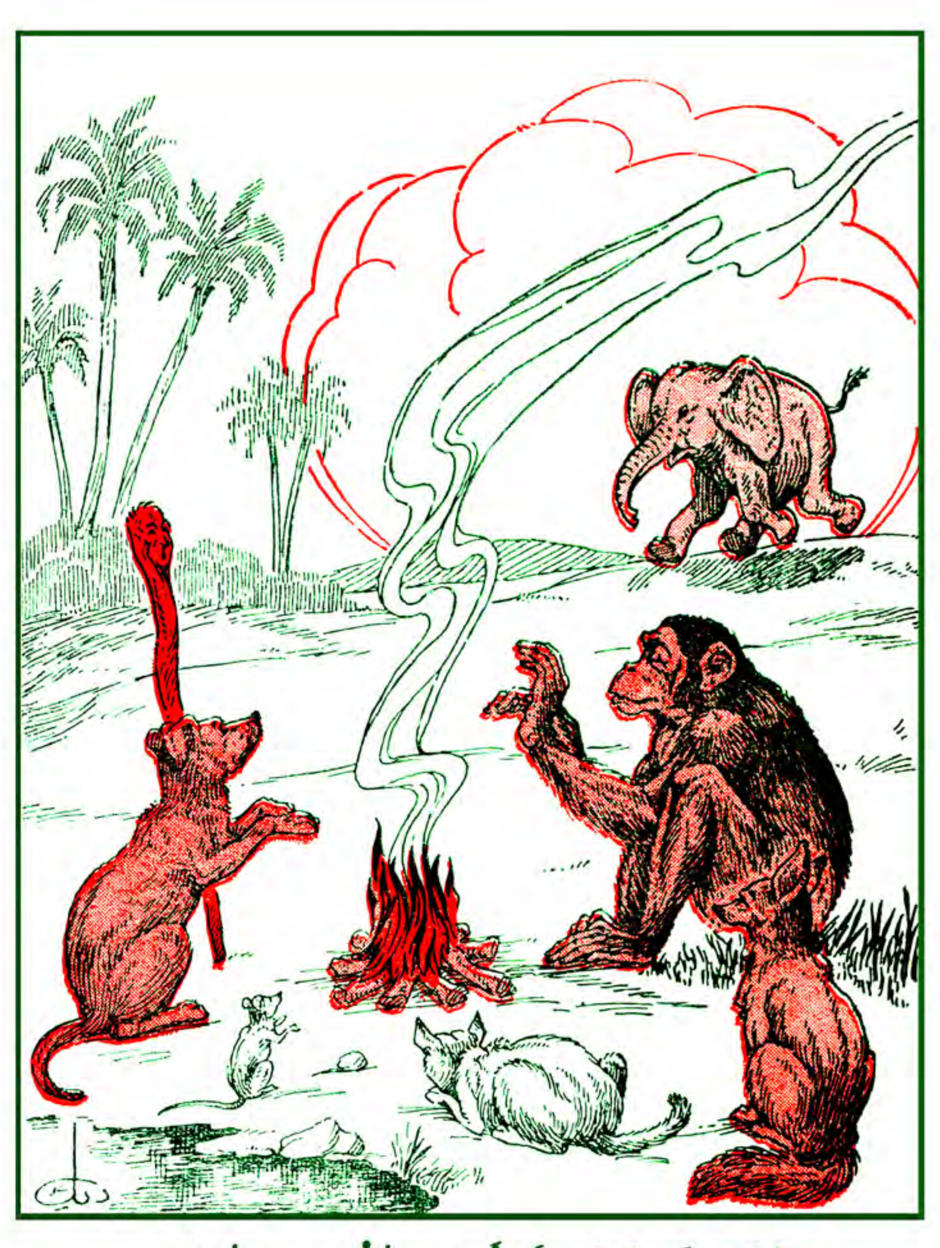
وَلٰكِنَّ السُّلْطانَ « الرِّئْبَاحَ » لَمْ يَشَأْ أَنْ يَقْبَلَ نَصِيحَةَ الْخَيَّاطِ ؛ لِأَنَّ « الرِّئْبَاحَ » كانَ شَدِيدَ الْوُثُوقِ بِذَكاءِ « ابْنِ آوَى » وَبُعْدِ نَظَرِهِ .

٦ - مَشُورَةُ الشَّغْبَرِ

وَقَدْ أَفْضَى السُّلْطانُ إِلَى « ابْنِ آوَى » بِما أَحْدَثَهُ الْجُناةُ مِنْ خُرُوقٍ فِي ثَوْبِ الْخَيَّاطِ .

فَرَسَمَ لَهُ « ابْنُ آوَى » خُطَّةَ الْقِصاصِ مِنَ الْأَئِمَةِ .

وَقَبِلَ السُّلْطانُ « الرِّئْبَاحُ » مَشُورَةَ الشَّغْبَرِ الْغادِرِ الْخَبِيثِ ، وَلَمْ يَعْبَأْ بِنَصِيحَةِ الْخَيَّاطِ الْمُخْلِصِ الْأَمِينِ .



الْمُتَّهَمُونَ يَتَجَمَّعُونَ أَمامَ السُّلْطانِ «الرُّبّاحِ»

***

وَبَعْدَ قَلِيلٍ أَحْضَرَ الشَّغْبَرُ « ابْنُ آوَى » جَمِيعَ الْمُتَخاصِمِينَ ؛ وَمَثَلُوا بَيْنَ يَدَيِ السُّلْطانِ ـ كَما أَمَرَهُمُ « ابْنُ آوَى » ـ فَوَقَفَتِ الْفَأْرَةُ الرَّمادِيَّةُ الصَّغِيرَةُ ، وَإِلَى جانِبِها الْقِطُّ الْأَبْيَضُ ، فالْكَلْبُ الْأَسْوَدُ الْجَعْدُ الشَّعْرِ . .

وَوَقَفَتِ الْعَصا ، وَإِلَى جانِبِها النَّارُ الْمُلْتَهِبَةُ ، فَبِرْكَةُ الْماءِ .

وَوَقَفَ الْفِيلُ فِي الصَّفِّ ، وَإِلَى جانِبِهِ النَّمْلَةُ الصَّغِيرَةُ السَّوْداءُ ، ماثِلَةً عَلَى فَرْعِ وَرَقَةٍ فِي شَجَرَةٍ عالِيَةٍ .

٧ - مُحاكَمَةُ الْجُناةِ

فَقالَ السُّلْطانُ « الرُّبَّاحُ » لِلْخَيَّاطِ :

« هاتِ ثَوْبَكَ ، لِيَرَى خُصُومُكَ ما حَدَثَ بِهِ مِنْ خُرُوقٍ . »

فَرَفَعَ الْخَيَّاطُ الثَّوْبَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَفِيهِ الثُّقُوبُ السِّتَّةُ ، والْتَفَتَ السُّلْطانُ إِلَى رَعِيَّتِهِ سائِلًا :



الْفَأْرَةُ الْمُتَّهَمَةُ أَمامَ السُّلْطانِ « الرُّبّاحِ »

« مَنْ مِنْكُمُ الْجانِى الْأَثِيمُ الَّذِى اقْتَرَفَ هٰـذا الْجُرْمَ الشَّنِيعَ ؟ »

فَقَالَتِ الْفَأْرَةُ :

« لَقَدِ اقْتَرَفَهُ الْخَيَّاطُ نَفْسُهُ . »

فَصاحَ الْقِطُّ :

« بَلْ فَعَلَتْهُ الْفَأْرَةُ . »

فَقالَ الْكَلْبُ :

« بَلْ هِيَ الْعَصا . »

فَصاحَتِ الْعَصا :

« بَلْ هُوَ الْكَلْبُ . »

فَقالَتِ النَّارُ :

« بَلْ هِيَ الْعَصا . »

وَقالَ الْماءُ :

« لَمْ تَفْعَلْ ذٰلِكَ إِلَّا النَّارُ . »

وَصاحَ الْفِيلُ :

« بَلْ هُوَ الْماءُ . »

وَقالَتِ النَّمْلَةُ :

« كَلَّا ، بَلْ فَعَلَهُ الْفِيلُ . »

فَقالَ « ابْنُ آوَى » :

« لَقَدْ رَأَى السُّلْطانُ صِدْقَ ما حَدَّثْتُهُ بِهِ ، فَإِنَّ كُلَّ واحِدٍ مِنْهُمْ يُنْكِرُ الْجَرِيمَةَ ، وَيَتَّهِمُ بِها غَيْرَهُ .

والرَّأْيُ عِنْدِي أَنْ يُعاقَبُوا جَمِيعًا ، ما دامُوا يَأْبَوْنَ الِاعْتِرافَ بِالْحَقِّ . »

٨ – حُكْمُ السُّلْطانِ

فالْتَفَتَ السُّلْطانُ « الرُّبَّاحُ » إِلَى الْخَيَّاطِ ، وَقالَ لَهُ :

« أَلَسْتَ تَتَّهِمُ الْفَأْرَةَ ؟ »

فَقالَ الْخَيَّاطُ :

« نَعَمْ ، أَتَّهِمُها ، وَأَنا عَلَى ثِقَةٍ مِمَّا أَقُولُ . »

فالْتَفَتَ السُّلْطانُ إِلَى الْقِطِّ ، وَقالَ لَهُ :

« تَعالَ يا « أَبا خِداشٍ » ؛ هَلُمَّ فَعَضَّ الْفَأْرَةَ ! »

ثُمَّ قالَ السُّلْطانُ لِلْكَلْبِ :

« وَأَنْتَ يا « ابْنَ وازِعٍ » : أَلَسْتَ تَتَّهِمُ « أَبا خِداشٍ » ؟ »

فَقالَ لَهُ الْكَلْبُ :

« نَعَمْ ، أَتَّهِمُهُ ، وَأَنا عَلَى ثِقَةٍ بِما أَقُولُ . »

فَقالَ لَهُ السُّلْطانُ :

« إِذَنْ هَلُمَّ فاعْضَضِ الْقِطَّ . »

فَأَسْرَعَ الْكَلْبُ إِلَى الْقِطِّ ، وَأَنشَبَ أَنْيابَهُ فِي فِرائِهِ .

والْتَفَتَ السُّلْطانُ إِلَى الْقِطِّ ، وَقالَ لَهُ :

« وَأَنْتَ يا « أَبا خِداشٍ » : أَلَسْتَ تَتَّهِمُ الْكَلْبَ ؟ »

فَقالَ لَهُ :

« نَعَمْ ، أَتَّهِمُهُ ، وَأَنا عَلَى ثِقَةٍ مِمَّا أَقُولُ . »

فَقالَ السُّلْطانُ :

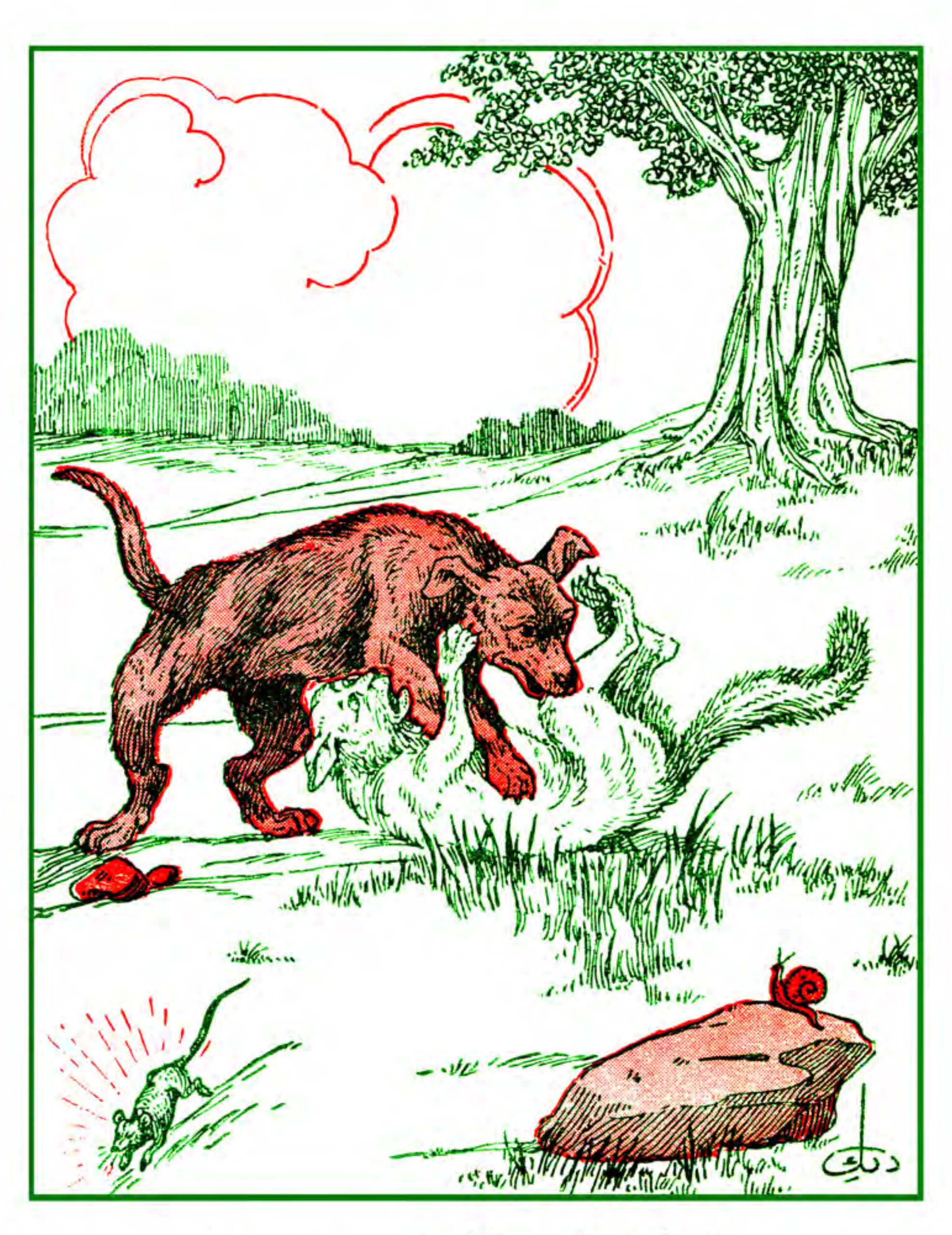
« أَيَّتُها الْعَصا : هَلُمِّي ، فاضْرِبِي الْكَلْبَ . »

فَقالَتِ الْعَصا مُتَأَلِّمَةً :

« إِنَّ النَّارَ هِيَ الَّتِي فَعَلَتْ ذٰلِكَ . »

فَقالَ السُّلْطانُ : « هَلُمِّي أَيَّتُها النَّارُ ، فَأَحْرِقِي الْعَصا .

وَتَعالَ أَيُّها الْماءُ ، فَأَطْفِئِ النَّارَ . »



الكَلْبُ يُنْشِبُ أَنْيابَهُ فِي فِراءِ الْقِطِّ

والْتَفَتَ إِلَى الْفِيلِ قائِلًا : « هَلُمَّ - يا « أَبا حَجَّاجٍ » - فاشْرَبِ الْماءَ . وَتَعالَىْ أَيَّتُها النَّمْلَةُ ، فاقْرُصِي أَبا حَجَّاجٍ . »

٩ - عاقِبَةُ الطَّيْشِ

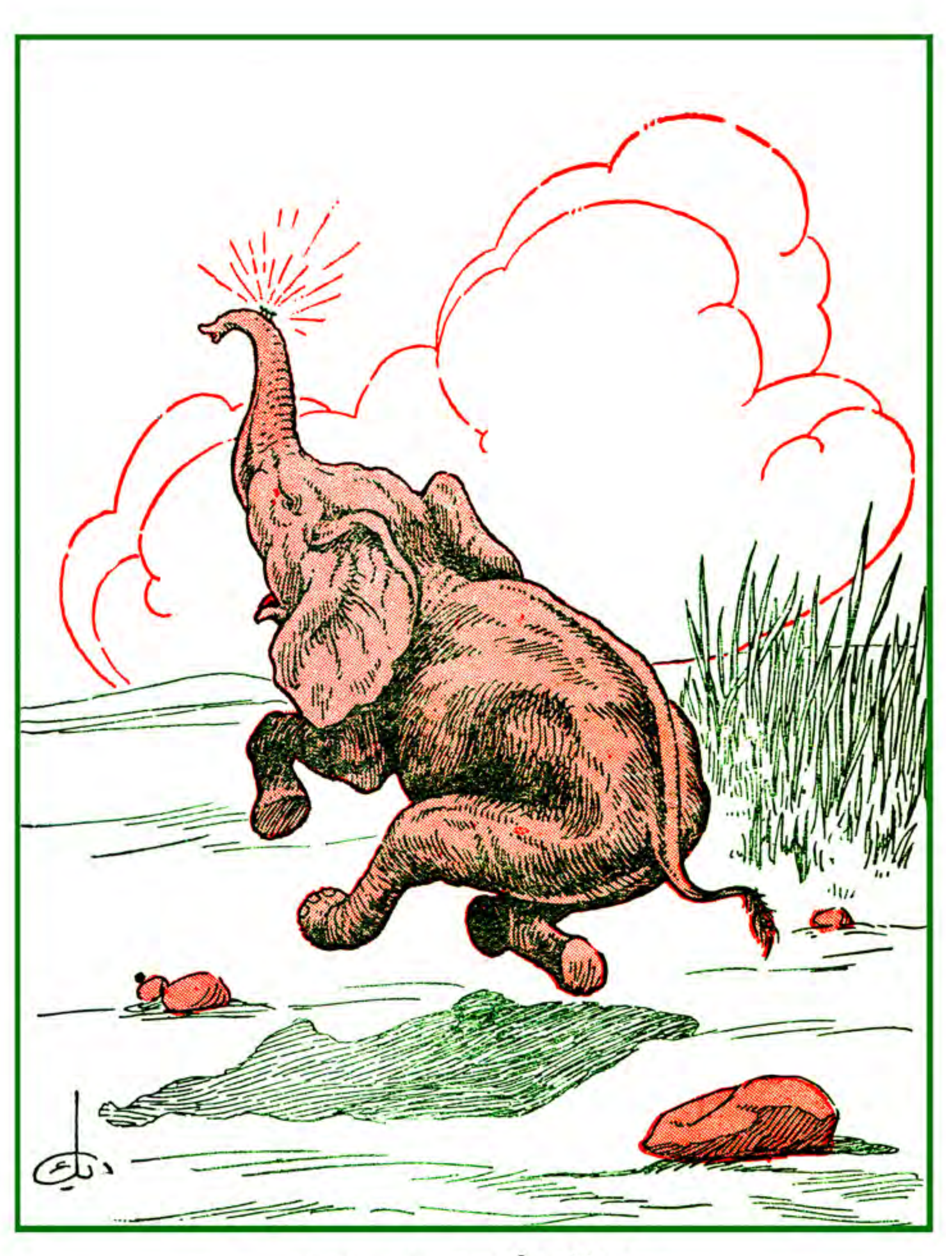
وَهٰكَذا لَبَّى الشَّعْبُ ذٰلِكَ النِّداءَ الْأَحْمَقَ .. وَسُرْعانَ ما حَلَّ الْخِصامُ مَحَلَّ الْوِئامِ ، وَسادَتِ الْبَغْضاءُ والتَّنافُرُ بَيْنَ أَفْرادِ ذٰلِكَ الشَّعْبِ التَّاعِسِ الْمَنْكُوبِ مُنْذُ ذٰلِكَ الْيَوْمِ .

وَهُنا صاحَ الشَّغْبَرُ الْماكِرُ الْخَبِيثُ صَيْحَةَ الظَّافِرِ الْمُنْتَصِرِ ، وَقالَ :

« وافَرْحَتاهُ ، لَقَدِ انْقَضَى عَهْدُ الْمَحَبَّةِ والْوِئامِ ، وَزالَ عَهْدُ الْأُخُوَّةِ والسَّلامِ ، وَحَلَّ عَهْدُ الْبُغْضِ والْخِصامِ ، بِفَضْلِ مَشُورَةِ « ابْنِ آوَى » الْخَبِيثِ ! »

***

وَتَحَقَّقَ ما تَكَهَّنَ بِهِ الذِّئْبُ الْخَبِيثُ ؛ فَما زالَتِ الْخُصُومَةُ ناشِبَةً إِلَى الْيَوْمِ بَيْنَ هٰؤُلاءِ الْمُتَخاصِمِينَ جَمِيعًا ؛ فَإِنَّ الْقِطَّ لا يَزالُ يَعَضُّ الْفَأْرَ وَيَتَرَبَّصُ لَهُ ، وَلا يَزالُ الْكَلْبُ يَعَضُّ



النَّمْـلَةُ تَقْرُصُ الْفِيـلَ !

الْقِطَّ ؛ والنَّمْلَةُ تَقْرُصُ الْفِيلَ ، والنَّارُ تُحْرِقُ الْخَشَبَ ، والْماءُ يُطْفِئُ النَّارَ ، والْفِيلُ يَشْرَبُ الْماءَ .

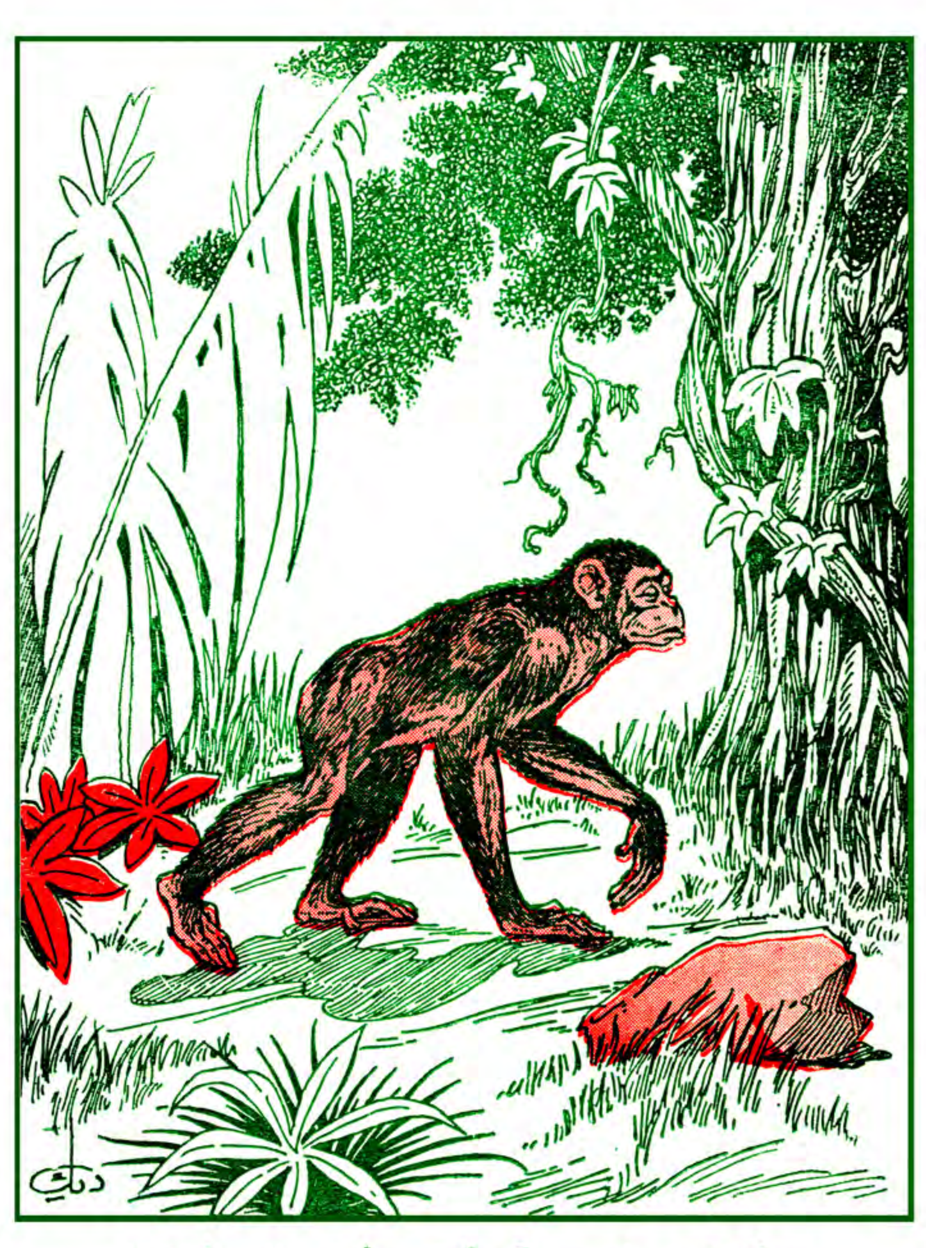
١٠ – جَزاءُ الْحَماقَةِ

وَسُرَّ « الرُّبَّاحُ » بِما رَأَى ، وَشَكَرَ لِـ « ابْنِ آوَى » نَصِيحَتَهُ.

وَلٰكِنَّ اللهَ عاقَبَهُ عَلَى حَماقَتِهِ وَطَيْشِهِ عِقاباً أَلِيمًا ؛ فَسَلَبَهُ نِعْمَةَ السَّيْرِ عَلَى قَدَمَيْهِ ، كَما يَسِيرُ الْإِنْسانُ .. وَأَصْبَحَ – مُنْذُ ذٰلِكَ الْيَوْمِ – يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ ، كَما تَمْشِي سائِرُ الدَّوابِّ .

وَقَدِ احْتَقَرَهُ النَّاسُ بَعْدَ ذٰلِكَ ، فَأَصْبَحُوا يُسَمُّونَهُ « قِرْدًا » وَيُطْلِقُونَ عَلَى ذُرِّيَّتِهِ اسْمَ « الْقُرُودِ » .

وَلَمْ يَعُدْ أَحَدٌ يُلَقِّبُهُ بِـ « الرُّبَّاحِ » ، لِسُوءِ حُكْمِهِ ، وَبُعْدِهِ عَنِ الْإِنْصافِ والْحَزْمِ .



«الرُّبَّاحُ» يَمْشِى عَلَى أَرْبَعٍ مِثْلَ سائِرِ الْحَيَوانِ

الكيلانى

مُنْشِئُ « مَكْتَبَةِ الأَطْفالِ » الْعَرَبِيَّةِ

للشاعر « خليل مطران »

الأُسْتاذُ الْكَبيرُ « كامِلُ الْكيلانِيُّ » مُطالِعٌ بِلا حِسابٍ ، وَحافِظٌ بِلا حِسابٍ ، وَمُثْمِرٌ بِلا حِسابٍ !

أَقُولُ بِلا حِسابٍ ، وَأَعْنِي الْكَثْرَةَ الْمُبارَكَةَ ، أَعْنِي : الْغَيْثَ اسْتَدَرَّ عَلَى تُرْبَةٍ خِصْبَةٍ فَيْحاءَ ؛ فَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ جانِبٍ أَحاسِنَ النَّباتِ ، أَعْنِي : النِّيلَ اسْتُنْزِلَ مِنْ عالِي الشِّعابِ وَبَعِيدِها ؛ فَأَحْيا ـ مِنَ الرِّمالِ ـ الْمَواتَ ، وَأَخْرَجَ الْمُرُوجَ وَالْجَنّاتِ .

تَسْمَعُهُ فَتُسْقَى مِنْ فَيْضِ عِلْمِهِ وَلا تُرْوَى ، وَتَقْرأُ لَهُ فَتَطْعَمُ مِنْ جَنِيِّ حِلْمِهِ وَلا تَشْبَعُ . عَلَى أَنَّ تِلْكَ الذَّخائِرَ ـ الَّتِي جَمَعَها صَدْرُهُ فَأَوْعَى ـ قَدْ غَذَتْ مِنْهُ قَرِيحَةً وَلُودًا ، لَمْ يَأْتِ غَيْرُها بِأَنْجَبَ وَلَدًا ، وَلا بِأَكْثَرَ عَدَدًا !..

مِنَ الْعُلَماءِ مَنْ يَخْتَزِنُ وَلا يَنْفَعُ بِعِلْمِهِ . وَمِنَ الأُدَباءِ مَنْ يُجِيدُ اللَّفْظَ وَيَبْرَعُ فِي الأُسْلُوبِ .. وَلٰكِنَّهُ إِنَّما يُخْرِجُ

مِنَ الدُّرِّ ، وَيَصُوغُ مِنَ الْقَلائِدِ ، ما يُتابِعُ بِهِ الْعاداتِ ، وَلا يَعْدُو الإِعاداتِ . أَمَّا الْمُنْشَآتُ الصَّادِرَةُ عَنْ مَقْدِرَةٍ واخْتِراعٍ ؛ فَقَلَّ مَنْ يُحاوِلُها ، لِأَنَّ دُونَها عَناءً بِقَدْرِ خَطَرِها .

لا كَذٰلِكَ الْأُسْتاذُ « الْكيلانِيُّ » !.. فَقَدْ نَظَرَ فِي حاجاتِ عَصْرِهِ ـ وَحاجاتُ الْعَصْرِ حَوْلَهُ جَمَّةٌ ـ فَبَعْدَ أَنْ تَرْجَمَ ما تَرْجَمَ مِنْ قِصَصِ أَكابِرِ الْأُدَباءِ الْغَرْبِيِّينَ ، وَدَرَسَ ما شاءَ مِنْ مُخَلَّفاتِ الْمُتَقَدِّمِينَ مِنَ الْعَرَبِ ـ نَثْرًا كانَتْ أَوْ شِعْرًا ، أَوْ حِكْمَةً ـ وَراضَ مَلَكَتَهُ أَوْفَى الرِّياضاتِ : نَظْمًا وَنَثْرًا ، هَدَتْهُ فِطْرَتُهُ الْإِنْسانِيَّةُ الرَّقِيقَةُ إِلَى مَجالٍ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُجْرِيَ فِيهِ : قَلَمَهُ نَظْمًا وَنَثْرًا ؛ فَيُحْدِثَ لِلْأُمَّةِ الْعَرَبِيَّةِ حَدَثًا جَدِيدًا ، يَكْفُلُ تَنْشِئَةَ أَبْنائِها عَلَى حالَةٍ مِنَ الثَّقافَةِ الْمُتَدَرِّجَةِ ، تُوصِلُهُمْ إِلَى الْغايَةِ الَّتِي يُدْرِكُها أَبْناءُ الْأَجانِبِ ، وَقَدْ كَوَّنَتْ أَذْهانَهُمْ بِمِثْلِ الطَّرِيقَةِ السَّهْلَةِ الْمُشَوِّقَةِ الْبارِعَةِ الَّتِي وَضَعَها لَهُمْ جَهابِذَةُ التَّرْبِيَةِ عِنْدَهُمْ .

عُنِيَ بِتَغْذِيَةِ عُقُولِ الْأَطْفالِ ، وَتَهْذِيبِ أَخْلاقِ الْأَطْفالِ ، وَتَقْوِيمِ مَلَكاتِ الْأَطْفالِ ، عَلَى الْعَرَبِيَّةِ الصَّحِيحَةِ ؛ فَأَلَّفَ واقْتَبَسَ لَهُمْ قِصَصًا ـ بَيْنَ صَغِيرَةٍ وَكَبِيرَةٍ ـ نَيَّفَتْ كَرارِيسُها

وَكُتُبُها عَلَى الْأَرْبعِينَ ، وَدارَجَهُمْ بِما هَيَّأَهُ لَهُمْ فِيها مِنْ أَسْبابِ الْإِنارَةِ والْإِرْشادِ ، مِنْ حَداثَتِهِمُ الْأُولَى إِلَى اقْتِبالِ الصِّبا ، بَلْ إِلَى شَرْخِ الشَّباب ؛ فَأَتَى - فِي سَرْدِهِ - بِكُلِّ شَيْءٍ مُفِيدٍ ، وَمُمْتِعٍ قَيِّم .

وَقَدْ تَرَى - فِي كَلامِهِ - السَّهْلَ الْمُمْتَنِعَ ؛ فَلا تَتَبَيَّنُ مِنَ الْفَوْرِ قَدْرَ ما بَذَلَهُ مِنَ الْجَهْدِ فِيهِ . وَلٰكِنَّكَ إِذا انْتَقَلْتَ - مَثَلًا - إِلَى ما عَرَّبَهُ وَلَخَّصَهُ وَقَرَّبَهُ مِنْ أَضْخَمِ مَسْرَحِيَّاتِ « شِكْسبِيرَ » ، وَبَدا لَكَ مِنْ تَجْدِيدِهِ لِتِلْكَ الْقِصَصِ عَلَى نَحْوٍ خاصٍّ ، ما جَمَعَ فِيهِ - مِنَ الْفَصاحَةِ فِي الْمَبانِي ، إِلَى الْبَلاغَةِ فِي الْمَعانِي ، وَمِنَ الْجَزالَةِ فِي الشِّعْرِ ، إِلَى السُّهُولَةِ فِي النَّثْرِ - بَدا لَكَ ، بِجُمْلَتِهِ وَتَفْصِيلِهِ ، صَنِيعُ هٰذا الرَّجُلِ فِي أَرْوَعِ صُورَةٍ تَجْلُو فِطَنَهُ الْمُبْدِعَةَ ، وَكِفاياتِهِ الْمُتَنَوِّعَةَ .

وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لِلْأُسْتاذِ « الْكِيلانِيِّ » إِلَّا أَنَّهُ الْمُبْتَكِرُ فِي وَضْعِ « مَكْتَبَةِ الْأَطْفالِ » بِلِسانِ النَّاطِقِينَ بِالضَّادِ ؛ لَكَفاهُ فَخْرًا ، بِما قَدَّمَهُ لِرَفْعِ ذِكْرِهِ ، وَما أَحْسَنَ بِهِ إِلَى قَوْمِهِ وَعَصْرِهِ ؟

خليل مطران



دار مكتبة الأطفال - القاهرة
أول مؤسسة عربية لتثقيف الطفل
٣٢ شارع حسن الأكبر - ت ٥٠٨١٨
٢٨ شارع البستان - ت ٣٣١٥٨